مجلة ..... النهار .....
صادرة بتاريخ ..... ٩ / ٤ / ٢٠٠٤ .....

الأوركسترا الوطنية عزفت مندلسون وشومان

ميلوديا رومنطيقية لمع فيها بيانو رونو منفرداً

جانب من الاوركسترا والجمهور في القديس يوسف وبدا فريدريك رونو الى البيانو والقائد هاروت ڤازليان.

لكلّ من الثلاثة المختارين لليلة الجمعة الفائت ركائزه ومسلكه ضمتهم الأوركسترا السمفونية الطونية من زمن الرومنطيقية وما كان لها من دور آسر في عالم الأوبرا وتحرير الفن وذات الفنان.

في مستهل الأمسية في كنيسة القديس يوسف، عزفت الاوركسترا بقيادة هاروت ڤازليان افتتاحية أوپرا "القناص" لكارل ماريا فون ڤيبير التي تجمع في تنويعاتها مذاقات موسيقية متعددة، واعتبرها معاصروها آية من آيات الهندسة الهارمونية. ومن افتتاحية "القناص" ادخلتنا الاوركسترا بأناقة الأوتار وتوزيع العبارات المرهفة أدب الموسيقى الرومنطيقية وشاعريتها، فكان مندلسون في كونشرتو لبيانو وأوركسترا ومعه المفاجأة التي انتظرناها والتي كنا موعودين بها: فريدريك رونو ابن الرابعة عشرة الذي يستوقفنا مساره القصير زمناً والمديد في تعدد البلدان التي تنقل بينها مع والديه وتغربه في لغات مختلفة، من باريس الى تركيا فتشيكيا فلبنان، كأن الأرض الثابتة التي لا تعرف الانسلاخ، أي آلة البيانو، تحضن هويته وإسمه، وله في كل بلد استاذ ومعهد يفجران مواهبه ويصقلانها، وهو منذ سنة في الصف الثامن في المعهد الوطني للموسيقى في اشراف استاذته انجيلا هاديشيان.

اطل رونو ببدلة الفراك انيقاً، جدّياً، لائقاً، وجلس واثقاً الى ملامسه لينفرد في العزف حيناً، وليرافق الاوركسترا حيناً آخر، معجوناً بانفاس مندلسون، يكرجه كعازف عتيق، ومستكشف محنك لا في براعة الأداء فحسب بل في الغوص في روح مندلسون واستمزاج مشاعره النابضة، مرهفاً في الاصغاء الى الاوركسترا، متابعاً يقظاً لاشارات القائد، وجوّانياً يعبّ النغم بأحاسيس عاشقة، كان مندلسون في هذه التحفة يلقمه من ناره وخفقات روحه وهو يسكب من أصابعه المرفرفة فوق الملامس حياة وزهواً. وعاد الى ملامسه وأصابعه فيض وعطاء ليعزف "النحلة" لريمسكي كورساكوف. كان منتشياً رشيقاً يسابق القفير بأجنحة أنامله المجنونة. ثم أخلى مكانه تاركاً وراءه ألف سؤال وسؤال. فإلى أين سيمضي به قدر الموسيقى الذي اختاره؟

كان شومان من المعجبين بموسيقى مندلسون ومن شهاداته فيها أنها الأجمل بين موسيقى عصره. كان الموسيقيان متقاربين عمراً وانتماء، وتبادلا الحب والتقدير في ترفّع وغيرية. ولطالما أدخل مندلسون يوم كان قائد اوركسترا مقطوعات شومان في برامجه.

وما أبدع ما قدمته الاوركسترا السمفونية تحت عصا قائد في ذاكرته معايير مفصلة على الهنيهة، على الثانية، فعبر الاداء المترفّع، الأنيق، دخلنا فردوس شومان وجحيمه، زهوه واحزانه. كنا نتلقى جمال الهوبوا والباسون مثل نداء حزين، ثم يتراجع امام اعصار الأوتار الجهيرة. استغل شومان صوت الكلارينيت فارداً فيها مشاعره العميقة ومحيطاً إياها بغابة وارفة من الآلات الوترية. الحوارات بين كمانات ونايات هي لشومان أصوات حميمة من عوالم خارقة نستشفّ منها الفجر والمغيب. عالم غريب اجادت الاوركسترا في تلوين غموضه بأقواس سيّالة، لا مادية، وهوبوا وباسون اضافتا على المناخ أبعاداً سرية وموجعة، وبقدر ما كانت تتقدم الاوركسترا في هذا النص المشدود على خيوط مكهربة بدت لنا العظمة الليريكية وعجينة الصوت المرنة والهندسة الموسيقية الشاهقة في روعتها.

مي منسى